المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد: 02 (2022)، ص340-351

الطريقة التيجانية وعلاقتها بالنظام العثماني على ضوء كتابات الضابط الفرنسي لوي ماري رين (Louis Marie Rinn)

The Tijāniyyah and its Relationship to the Ottoman Regime through the Writings of Louis Marie Rinn

جيجك زروق
جامعة بجاية (الجزائر)
zerrouk.djidjik@univ-bejaia.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/09/19
تاريخ القبول:
2022/11/07

الكلمات المفتاحية:
- ✓ أحمد التيجاني
- ✓ التيجانية
- ✓ لوي رين
- ✓ مرابطون وإخوان

الملخص:

ظهرت العديد من الدراسات والابحاث الفرنسية حول الطرق الصوفية، وبحكم ان التصوف والطرق الصوفية لهما تأثير بالغ في تسيير وتوجيه المجتمع فوجب دراسة هذه الظاهرة لمعرفة المجتمع الجزائري. تعد الطريقة التيجانية من أهم الطرق الدينية في الجزائر ذات الانتشار الواسع بحكم أنها طريقة جزائرية، ما جعلها ذات اهتمام كبير من الفرنسيين ومن بين رواد الابحاث الميدانية في المجال التاريخي والأنثروبولوجي نجد لوي ماري رين الذي قدم أبحاث تاريخية حول المجتمع المحلي من منظور استشراقي. من خلال هذه الدراسة سنحاول ابراز نظرة الكتابات الغربية وبالخصوص ما دونه "**لوي رين**" حول الطريقة التيجانية وبعدها السياسي تجاه النظام العثماني.

Article info

Received:
19/09/2022
Accepted:
07/11/2022

Key words:
- ✓ Ahmad al-Tijani
- ✓ The Tijāniyyah
- ✓ Louis Rinn
- ✓ marabout and khouan

Abstract:

The Tijāniyyah way is considered as one of the most important and widespread religious ways in Algeria as it IS an Algerian way(order-TAriqqa).that made it of great interest to the French ,among the pioneers of the research field in the anthropological area is Louis Rinn who presented historical researches on the local community from an orientalist view . Through this study we will try to highlighten the Western view especially what Louis Rinn had written about the Tijāniyyah from a political aspect towards the Ottoman system.

مقدمة

أولت الدراسات والأبحاث العسكرية الكولونيالية اهتماما كبيرا بدراسة الإسلام في الجزائر فأرخوا عن الزوايا والطرق الصوفية وفئة المرابطين، فاهتموا بمخطوطاتها وحافظوا على المراسلات السرية التي تحدث بين الإدارة الفرنسية وشيوخ الطرق الصوفية وقام البعض بنشره مثلما فعلت مجلة العالم الإسلامي الذي أوردت التقارير الموجودة كلها وخاصة مع التجانيين، فكانت تمهيد لتأسيس الانتروبولوجية الدينية في الجزائر والتي اعتمدت أساسا في بداياتها على مدونات الضباط الفرنسين وتقارير الرحالة الأوروبيين التي كانت عبارة عن انطباعات ومحاولة فهم المجتمع الجزائري.

فالكتابات الفرنسية الدينية تناولت الجانب الديني للجزائر كالإسلام الطرقي والزوايا والمرابطين في المدونة الفرنسية، فظهرت مؤلفات خاصة بها منها ما تناولتها على شكل إحصائيات وسرد للأحداث والأخرى كظاهرة اجتماعية تؤثر وتُسير المجتمع ومنهم من ربطها بالفكر الديني المسيحي المتمثل في الرهبان والأحبار.

عرفت المدونة الفرنسية إنتاجا غزيرا حول المرابطين والزوايا وشيوخ الطرق الصوفية في كلتا مرحلتي الكتابة الفرنسية والتي تظهر تنافضا مع الكتابات المحلية فمن هنا نجد ازدواجية الكتابة حول تاريخ الجزائر بصفة عامة والديني بالخصوص، **فما دوافع تدوين المدرسة الفرنسية لتاريخ الجزائر الديني؟ وفيم تمثلت العلاقة بين الطريقة التيجانية والنظام العثماني على لسان الضابط الفرنسي "لوي رين"؟**

تهدف هذه الدراسة إلى إماطة اللثام عن الدراسة التاريخية الميدانية التي قدمها "**لوي رين**" عن تاريخ الطريقة التيجانية خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، إلا أننا سنقتصر على الفترة العثمانية محاولا ابراز أهم الأحداث التاريخية التي مرت على تاريخ الطريقة التيجانية **وعن العلاقة التاريخية والسياسية بين النظام الحاكم العثماني مع هذه الطريقة من خلال منظور استشراقي فرنسي** وخاصة أن "**لوي رين**" عاصر وعاش بين مشايخ ومريدي الطريقة التيجانية وتحصل على مخطوطات وعلى مراسلات بين مشايخ الطريقة التيجانية والسلطات الفرنسية وأوردها في تقارير عسكرية ومنها ما نشرها في مقالات بالمجلة الإفريقية ومنها ما نشرها في كتب خاصة به.

1. دوافع اهتمام المدرسة الفرنسية بالكتابات الدينية

1.1. دوافع علمية تمهيدا للاستيطان

إن مشاركة الفرنسيين ببحوثهم الكثيرة حول الإسلام منذ احتلالهم للجزائر والتي كانت فردية أو جماعية وتناولوا مواضيع شتى منها التصوف ورجاله وحاولوا فهم الإسلام وتفسيره تفسيرا يليق بمصالحهم فلهذا عمدوا إلى دراسة نشاط الزوايا ورجالها فاعتبرت الدراسات العسكرية أن الإسلام الصوفي قوة تجنيدية تحرض المجتمع على الثورة والتمرد لذا يجب إلجامها ولهذا أوجب عليهم معرفة الخصم لتحديد وجه الصراع والبحث عن كيفية مجابهته (لوكا وكود فانتان، (د، س)، ص 14.12).

إن الانتشار الواسع للطرق الصوفية وتأثيرهم في المجتمع سوآءً في المجال السياسي أو الديني أدى بالسلطات الفرنسية إلى تتبع هذه الجماعات وإرسال تقارير عسكرية من أجل محاربتها، فمن عوامل استقرار البلاد وجَب تهدئة الأوضاع بإخماد الثورات من خلال دراستها وإظهار الخطر المرتقب منها والبحث عن محرضيها (RINN, 1884, p. 6)، كونها تعارض تقدم الاستعمار وتعرقل من نشاط الحضارة الغربية ،فلهذا وجب على الادارة الفرنسية معرفة الحقيقة التاريخية لهذه الظاهرة ودراسة أسباب ثوراتها ليُسهل عملية القضاء عليها وتجنب الصراع معها لإدراك الفرنسيين أن هاته الثورات مصدرها الزوايا والطرقية لاستنباط أحكاما من القرآن والمتمثلة في الجهاد ومحاربة الكفار.

يري فليب لوكا: "**أن دراسة الأعراق المقيمة في منطقة ما هي التي تحدد التنظيم السياسي التي يجب أن تسند إليها والوسائل الواجب تسخيرها لتحقيق اشاعة السلم، فالضابط الذي أمكنه وضع خريطة اثنوغرافية دقيقة للمنطقة التي يحكمها قابل أن يتم له إشاعة السلم الكامل الناتج عن التنظيم الذي يلائمه وفق الدراسة المقدمة**" (لوكا وكود فانتان، (د، س)، صفحة 64)، فدراسة دين وثقافة وطبيعة مجتمع أجنبي، أولى من دراسته سياسيا واقتصاديا باعتبار أن الجانب الديني والروحي هو الذي يؤثر في الفرد ويسيره.

كانت أولى الكتابات التي ظهرت على يد الضباط العسكريين الذين اشتغلوا في المكاتب العربية نتيجة المراسلات التي كانت تحدث بين الطرفين، يقول" **كوبولاني**" في مقدمة كتابه والذي سنتناوله في العنصر القادم: "**قد تفاقمت حركة التجديد والدعاية الإسلامية في السنوات الأخيرة بشكل يمكن القول إن ثلثي إفريقيا صاروا يعتنقون الإسلام، فمن الممكن أن الانتشار الواسع في المجتمعات الإفريقية أن يشكل لنا الإسلام الذي يمثله المرابطون وشيوخ الطرق الصوفية خطرا على الهدف الذي أوجدنا**" (Depont & Coppolani, 1897, p. XIX). يقول كلود روبار: "**إن على فرنسا إن أرادت البقاء بالجزائر وجب عليها القضاء على المرابطين والشرفاء الذين يشكلون خطرا على تواجدها فالقضاء عليهم يُسهل تواجدنا ويَضمن بقائنا فهم أكبر أعدائنا فمحاربتُهم أولى من محاربتهم لنا**" (Claude , 1938, p. 177).

2.1. استخدام الدراسات الأنثروبولوجيا الدينية في تفكيك المجتمع المحلي

نتيجة الاهتمام الكبير والحرص الشديد من السلطات الفرنسية قامت بدراسة شاملة للطرق الصوفية عام 1951م بعنوان "**الزوايا في الجزائر**" والتي أعدته مصلحة اتصالات شمال افريقيا بحكومة الجزائر العامة وكانت تقوم بإرسال تقارير حول الزوايا في شكل وثائق محكمة في غلاف مكتوب عليها عبارة "**سري**"، فاحتوت الدراسة على الجانب السياسي للزوايا والطرقية وموقفها من فرنسا كذا العلاقة فيما بين الطرق الصوفية، فترى في نفوذهم حاجزا مانعا لوصولها إلى عامة الجزائريين والذي يجب إزالته مثلما أُزيل نفوذ الأسر الكبيرة في الأقاليم المختلفة (شلالي ، 2006، ص 111.110).

إن تقديس العامة لشيوخ الطرق الصوفية والمرابطين عامة أو ما يطلق عليهم "**برجال الدين**" من خلال القِبب المنتشرة والزيارات التي يقومون بها للتبرك والدعاء جعل الفرنسيين يرغبون في معرفة هؤلاء الشخصيات

الدينية فنجدهم ينتقصون من مصداقية وصحة الكتابات المحلية (Ageron, 1978, p. 167.168)، رغبة في القضاء على أتباعهم الذين يشكلون زعامة في المجتمع تضاهي قوة فرنسا، فعملوا على تشويه صورة شيوخ الزوايا والمرابطين باتهامهم بالجحود الفكري والانغلاق وعدم التفتح على الحضارات الأخرى والعلوم النقلية المتطورة وعيشهم في التخلف ولذا وجب على فرنسا نشر الحضارة التي توصل بالإنسان إلى أعلى مراتب التطور والدخول في المسار الحضاري (Ageron, 1978, p. 62).

2. التعريف بالكاتب "لوي رين" ماري (Louis-Marie Rinn)

1.2. "لوي رين" LOUIS RINN

"**لوي رين ماري**"، ولد في 28 مارس 1838م بباريس رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية رئيس سابق للمصلحة المركزية للشؤون الأهلية، التحق بالمدرسة العسكرية سان سير عام 1855 تخرج منها برتبة ملازم في 13 ومنها التحق بالجزائر في 5 ماي 1864م، وأمضى السنة الأولى في مصلحة الشؤون العربية واستطاع أن يتعلم اللغة العربية (Faucon , 1889, p. 516). أمّا عن أسرته فكانت من عائلة مثقفة ومتعلمة فأخوه "**لوي ويلم**" يشغل منصب أستاذ بمدرسة "**رولان**"، وعمه عميد أكاديمية ستراسبورغ (Lacroix, 1905, p. 130) وواصل "**لوي رين**" نفس درب عائلته فأصبح رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية.

فبوجوده بالجزائر انتقل مباشرة إلى المسيلة، بسكرة، سطيف، تازمالت فكان كثير التنقل مما أهله أن يتعرف على أسرار المجتمع الجزائري. عدّ من أبرز ضباط الخدمة في المكاتب العربية فتحصل على وسام الشرف لسلوكه الشجاع ببسكرة خلال وباء الكوليرا عام 1867م (Faucon , 1889, p. 517). في سنة 1880 أصبح رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية ولكن لم يدم عمله طويلا فبعد خمس سنوات ألغيت هذه المصلحة وعين مستشارا في الحكومة، في 03 مارس 1885 استقال من منصبه وهو رئيس قائد كتيبة.

2.2. إنتاجه الفكري والعلمي

اهتم بالجانب الاجتماعي والديني والثقافي للجزائر فألّف سنة 1871م دراسة حول نشأة وإعادة تنظيم المكاتب العربية رغبة منه في إعادة النظر في قانون الحاكم العام الذي ينص على إلغاء هذه المصلحة والتي أورد فيها "**رين**" أن لها فائدة كبيرة لفرنسا وعليها إعادة فتحها والاعتماد عليها. للأغراض المتعددة التي تقوم بها وخاصة من الجانب التاريخي والإثنولوجي وحتى الجغرافي نتيجة الحوارات والنقاشات التي تحدث بغض النظر عن الأهداف الأساسية منها الإدارية والسياسية والعسكرية (Peyronnet, 1930, p. 57)، فهذا الكتاب مجهول بسبب القوانين المتعلقة بمنشورات النشاط العسكري التي لا تسمح بنشرها والاطلاع عليها.

له دراسات في اللغويات والاثنولوجيا في تاريخ البربر والذي حاول فيه تبسيط حروف الأمازيغية "**تيفيناغ**" وإعادة ترجمتها للغة الفرنسية باعتباره يتقن اللغة العربية، الأمازيغية ولهجاتها كالقبائلية، الشاوية فهذا ما أورده في مصطلحاته (Rinn, 1882, p. 146).

كانت له اهتمامات بالجانب السياسي للجزائر من خلال مقاله في المجلة الإفريقية بعنوان "**مملكة الجزائر تحت آخر الدايات**" والذي قام بإحصاء وجرد مناطق الجزائر حسب التقسيمات السياسية مع التطرق إلى موقفها من الحكم التركي (Rinn l. , 1897, p. 121)، تطرق للتاريخ السياسي الديني من خلال كتابه في حروب المقاومات الدينية "**انتفاضة 1871**م" ودون هذه الابحاث في مؤلفات منها: حدودنا الصحراوية نشر 1886 (Nos frontières sahariennes .Ed Jourdan, Alger.1886) ، تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر Histoire de l'insurrection de 1871en Algérie .Ed Adolphe Jordan.Alger.1891، مؤلفه الآخر في الجانب السياسي بعنوان: "**الممالك البربرية الأولى وحرب يوغرطة**"، دراسة حول الجغرافية القديمة بالجزائر، طبع عام 1885م Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha, étude sur la géographie ancienne de l'Algérie. Jourdan, Alger. 1885. وفي سنة 1885 صدر له كتاب آخر بعنوان: "**اللجان التأديبية**"، دراسة حول النظام العقابي للاند يجان في الجزائر Les Commissions disciplinaires, étude sur le régime pénal de l'indigénat en Algérie .Jordan .ALGER.1885.

أمّا عن كتابه الذي يهمنا كثيرا المعنون بـ "**مرابطون وإخوان**" الذي تناول الإسلام الطرقي. فقدمنا له دراسة خاصة له في المبحث القادم.

3.2. المناصب العلمية والإدارية

تقلد "**لوي رين**" عدة مناصب منها: مستشار لدى الحكومة العامة، ونائب الرئيس لدى الجمعية التاريخية الجزائرية (Faucon , 1889, p. 519). بعدها أصبح رئيسها لمدة سبع سنوات (Faucon , 1889, p. 519). نائب الرئيس للتحالف الفرنسي من أجل نشر اللغة الوطنية في الجزائر، رئيس قسم الجمعية الجغرافية بالجزائر، عضو بمكتب الإدارة الثانوية ومكتبة المتحف. تقلد رتبة ضابط بالأكاديمية عام 1878م، عين ضابطا للتدريب العام في جانفي 1883م وتقلد منصب ضابط وسام فيلق الشرف (Faucon , 1889, p. 519). في آخر حياته تفرغ للكتابة والتأليف فبدأ في كتابة مؤلفه "**تاريخ الجزائر**" في 11 مجلدا عبر مختلف مراحله ونتيجة مرضه ربما لم يتمه مع العلم أن هذا الكتاب لم يظهر وربما لازال مخطوطا (Lacroix, 1905, p. 432). توفي "**لوي رين**" في عام 1905م.

3. تقديم دراسة "لوي رين" حول ظاهرتي المرابطين والطرق الصوفية

ظهرت مجموعة من المؤلفات التي تناولت المرابطين والطرق الصوفية بالجزائر وتعد دراسات متخصصة، إلا أن دراسة "**لوي رين**" تعد من المصادر الاولية للكتابات الغربية اذ يعد الثاني بعد "**دونوفو**" الذي تطرق لهذا الموضوع ولكن بشكل مختصر وعام مقارنة بـ "**لوي رين**" التي تعد دراسته بحث ميداني شامل ومدقق.RINN(L), Marabout et Khouane. Études sur l'islam en Algérie

1.3. مرابطون وإخوان: دراسة حول الاسلام في الجزائر

من أهم الدراسات التي تناولت الإسلام الجزائري فقد ألفه في سنة 1884م، يحتوي على 22 فصلا في 560 صفحة بالإضافة إلى خريطة تمثل انتشار الطرق الصوفية وجداول إحصائية لعدد الطرق والأتباع، فهو بمثابة موسوعة الطرق الصوفية والإسلام بصفة عامة، فأصبح المصدر الأساسي لكل الكُتاب الفرنسيين على الرغم أن "**دونوفو**" يعد أول من تطرق لهذه الظاهرة ولكن دراسته كانت عبارة عن روايات أقل بكثير من العمل الذي قام به "**رين**"، فلا يخلو أي كتاب لا يعتمد على هذا المؤلف.

تناول الجانب العام للإسلام فاستطاع الوصول إلى تقديم الأصول التي تحكم الدين من حيث العقيدة والإيمان ووحدانية الله، ووجوب إتباع الإمام باعتباره قدوة ومثل أعلى (RINN, 1884, p. 4).

قسّم الطبقات الدينية التي تمثل الإسلام إلى ثلاث أنواع، فالنوع الأول: ممثل في رجال الدين الرسميين "**الإمام**" والذي يشغل منصبا ويتقاضى عليه أجرا كمثل كل رجال الدين في الديانات الأخرى. النـــوع الثـــاني: ممثلا في المرابطين المحليين الذين ينتشرون في المناطق النائية، ينشرون الإسلام في أماكن خاصة بهم كالزوايا والمساجد دون أن يتقاضى أجرا عليه وهم أحرار ليسوا مرتبطين بالشيخ أو الطريقة. النوع الثالث: الذي يمثله شيوخ الطرق الصوفية وأطلق عليهم "**إخوان**". فكل هذه الأصناف مختلفة عن بعضها البعض على الرغم من اشتراكهم في بعض الصفات والمميزات، خاصة في مسألة النسب والشرف والسلطة الروحية والدينية (RINN, 1884, p. 6).

تناول ظاهرة المرابطون في فصل خاص بهم من حيث النشأة والتطور والانتشار وكيفية الانتساب ورد "**لوي رين**" أصلهم إلى النسب الشريف المتوارث عن الأب وملازمته للزاوية التي أسسها التي تعقد معقل الثورات والانتفاضات التي عرفتها الزاوية المرابطية على الرغم من استمالة بعضهم إلى جانب فرنسا وتعيينهم في مناصب كالأغا القايد وتميزهم عن الأهالي الجزائريين (RINN, 1884, p. 17).

أما عن الطرق الصوفية فقد تناولها بشكل تفصيلي وإحصائي مدقق جدا ففصل بين الطرق الرئيسية والفرعية التي انبثقت عنها وحركة انتشارها خاصة بداياتها التي كانت من المشرق عن طريق أتباع عبد القادر الجيلاني بالعراق والتي فيما بعد أصبحت طريقة خاصة به ومنها تفرعت الكثير من الطرق، واهتم بفصل خاص بالطرق المغربية الأصل والطرق الجزائرية، عن انتشارها في الجزائر فقد عدّها وهي: الطريقة الصديقية، العويسية، القادرية، السهروردية، الشاذلية وفروعها، النقشبندية، الخلواتية، العيساوية، البكائية، الكرزازية، الشيخية، الطيبية، الحنصالية، الخضرية، الزيانية، التيجانية، الرحمانية، السنوسية.

في إطار العمل المكلف به من طرف السلطات الفرنسية والمتمثل في ترأسه للمكتب العربي تعامل مع شيوخ الزوايا، من خلال المراسلات والزيارات المتبادلة فيما بينهم وخاصة مع التجانيين نشر بعضها في كتابه فهذا ما عدّه من أهم الكتب الدينية الفرنسية وكثيرا ما اعتمد عليه المؤرخون الذين تناولوا الطرقية بالجزائر.

على الرغم من هذا فلم يخلو من الصبغة الاستعمارية والتي يدعو فيها إلى استعمال وتوظيف هذه القوى الدينية في خدمة فرنسا فدعا إلى إعادة العمل بلقب "**شيخ الإسلام**" الذي قضت عليه فرنسا. رأى "**رين**" أن جعل شيخ الطريقة التيجانية في هذا المنصب باعتبارها طريقة جزائرية ليس لها ارتباطات بالمشرق ولا بتركيا ولا بالمغرب مما يسهل الأمر وأن أعضائها مخلصين لفرنسا ويكون أعلى من كل الموظفين الرسمين ويحظى باعتراف الجميع كشخصية رسمية لضرب الإسلام أولا والطرق المعارضة لفرنسا (سعد الله، 1998، ص 309).

يرى "**رين**" من خلال مؤلفه أن شيوخ الزوايا جهلة لا يفقهون الإسلام الحقيقي ويجب فلكرة الطرق الصوفية واتهامها بالخرافة والشعوذة وإبعادها عن الدين الإسلامي، ووصفه زوايا العلم والقرآن بأماكن الرقص والغناء أثناء القراءة الجماعية للقرآن والطقوس التي يقيمها المريدين.

4. الطريقة التيجانية في كتابات لوي ماري رين

1.4. الشيخ أحمد التيجاني وتأسيس الطريقة

تنتسب إلى الشيخ "**أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني**" من مدينة "**عين ماضي**" من الأشراف القادمين من الساقية الحمراء، فكان مولده عام (Arnaud, 1861, p. 468)، منذ القرن السادس عشر كانت المدينة الصغيرة عين ماضي الواقعة خلف منحدرات جبال عمور تبعد حوالي 70 كلم عن مدينة الأغواط مشهورة في كامل الصحراء من خلال زاويتها التي كان يقصدها العلماء والشرفاء المعروفين من مختلف أنحاء شمال إفريقيا، ومن بين من مروا بالزاوية ودرسوا بها نذكر الكاتبين المغربيين: – العياشي "**حوالي 1049 –1050هـ الموافق لـ 1640م**" وهو قاضي لدى ديوان الملك المغربي .

2.4. أصول العائلة

العائلة المعروفة والمشهورة من بين هؤلاء الشرفة هي أولاد الشيخ محمد الذي يعد مؤسس مدينة عين ماضي قبل دخول الأتراك بوقت، وفي سنة 1150هـ (1737–1738م) ولد لقائد العائلة سي محمد بن المختار التيجاني – وهو رجل متكون ومتميز– ابن سماه أحمد والذي سرعان ما ظهرت عليه علامات الذكاء والورع ، فحتى قبل بلوغه سن الرشد علمه وتواضعه إضافة إلى فضائله وشمائله جعلته محّل أنظار، وبعد وفاة والده حوالي 1752–1753 م كان أحمد ذو16 سنة مؤهلا لمواصلة مهمة التعليم بعد والده والتي قد بدأها قبل خمس سنوات (RINN, 1884, p. 416).

3.4. رحلاته العلمية والدينية

في سنة1757 –1758م ترك أحمد التيجاني عين ماضي متنقلا لطلب العلم من دول أخرى وعند علماء مشهورين وذوي صيت عالي، فتوجه إلى مدينة فاس وبالتحديد إلى "**دار العلم**" أين زاد علمه وتوسعت مداركه وذلك باحتكاكه بالعلماء والفقهاء بالجامعة هناك فتحصل على إجازة لتدريس مختلف العلوم المعروفة لدى المسلمين، فبقي مدة في فاس ثم عاد إلى عين ماضي وفي طريقه زار عدة زوايا، منها زاوية الأبيض

سيدي الشيخ، أين جالس الشيخ بن الدين، ثم زار مدينة تلمسان سنة1186هـ الموافق لـ (1767-1768م)أين درس بها عدة سنوات (RINN, 1884, p. 417).

ثم غادر بلده تجاه قصد البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج سنة 1772م وعمره لم يتجاوز 36 سنة، وهناك أعجب به فقهاء المدينة نظرا لحنكته واتساع علومه ومداركه فسألوه عن شيخه فردّ عليهم بأن ما وصل إليه نتاج ما تلقاه من كل العلماء الذين أخذ منهم أو تتلمذ على يديهم، وهي إجابة موّفقة لأن سي أحمد كان قد انظم إلى عدد من الطرق الدينية التي لها شيوخ، فشيخه الأول كان مقدم الطريقة القادرية "**أحمد بن حسن**" بفاس، ثم أخذ عن "**مولى الطيب**" أذكار الطيبية، ثم عن "**أحمد بن عبد الرحمان (بوقبرين)**" مؤسس الطريقة الرحمانية، ثم مقدم الطريقة الناصرية "**محمد بن عبد الله التزاني**" ثم مقدم الطريقة الحبيبية "**أحمد الحبيب بن محمد الغماري الفلالي الصديقي**" وغيرهم.

كما ذكر أحمد الطواشي بتازا، وسيدي عبد الصمد البهوري بتونس، وفي سنة 1186هـ الموافق لـ (1772-1773م) أخذ عن سيدي أحمد بن عبد الله الهندي بمكة المكرمة وفي سنة 1773 أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الكريم المدعو "**الشيخ السمّان**" بالمدينة المنوّرة، وأخيرا أخذ عن الشيخ محمود الكردي بالقاهرة الذي شجعه على الاجتماع بمريديه في طريقة دينية يكون لها أذكارها الخاصة بها.

بعد تركه للشيخ الكردي توجه أحمد إلى تونس ثم إلى عين ماضي ليعود بعدها إلى تلمسان وفاس التي نزل بها للمرة الثانية وكان ذلك حوالي 1191هـ الموافق لـ (1777-1778م) أين بدأ في تكوين النواة الأولى للطريقة التي أراد تأسيسها وذلك بجمع الأفضل ممّا قرأه أو تعلمه فبدأ بالتدريس علانية فاجتمع حوله المريدين المخلصين له، ولكن فاس في تلك الفترة كانت تعيش مؤامرات ودسائس سياسية وحتى دينية لم تساعده في تحقيق مسعاه، فترك المدينة في 1196هـ الموافق لـ (1781-1782م) وتوجه إلى "**بوسمغون**" أين وجد عددا كبيرا من الأنصار في انتظاره والذين اعتبروه الزعيم الروحي لهم وهنا صرّح أحمد بن المختار التيجاني بأنه رآى الرسول الذي أمره بترك كل الطرق وما أخذ عنها لأن الرسول سيقوده ويتوسط له عند الله ولن يلومه أحد في ذلك (RINN, 1884, p. 419)

نتيجة لهذا التحذير الرباني قام التيجاني بتلقين مريديه الذكر الذي أوحاه له الرسول، إضافة إلى تنظيمهم في طريقة والنقطة الأساسية التي ترتكز عليها الطريقة التيجانية هي منع مريد الطريقة من الانضمام إلى طرق أخرى في نفس الوقت وإلاّ سيصاب باللّعنة والطرد من حضرة الله.

5. الشيخ أحمد التيجاني وباي وهران محمد الكبير

1.5. الصراع العسكري بين باي وهران والشيخ أحمد التيجاني

تأثير الشيخ التيجاني في المجتمع ونمو طريقته أقلق السلطات العثمانية , فقام محمد الكبير باي وهران بالزحف على عين ماضي وفرض على إثرها ضريبة على الزاوية قدرت بحوالي 181 ريال ، وفي عام 1787 م (1201-1202هـ) قام ابنه عثمان باي بالزحف ثانية على الزاوية لإجبارها على دفع الضرائب (RINN,

1884, p. 420)، نظرا لهذه المضايقات التي أرهقت الشيخ التيجاني، قرر ترك عين ماضي نهائيا وذلك حوالي 1798-1799 م بعدما أزعجه الباي محمد بن عثمان فانتقل إلى أبي سمغون فأقام بها إلى أن تولى الباي عثمان بن محمد فبعث إلى أهل بني سمغون ليخرجوه وهددهم ما جعل أتباع الشيخ يأخذوه إلى الصحراء واتجهوا به إلى فاس فتوجه للاستقرار بمدينة فاس المغربية التي استقبله سكانها الذين يعرفونه معرفة جيدة بحفاوة كبيرة، والتف حوله عدد كبير منهم فكانت فرصة مواتية للشيخ لنشر أفكاره وطريقته، فأرسل الشيخ برسول إلى أمير المؤمنين سلميان يعلمه بقدومه وفراراه من لم وجور الترك واستجار بهم فقبله السلطان (التلمساني،1998، ص.137)

أدرك مولاي سليمان الذي كان متبحرا في علم اللاهوت، أن التيجانية لا تتدخل في الحياة السياسية وتعطي أحقية للسلطة الزمنية، من أجل ذلك أهدى للشيخ التيجاني قصرا رائعا وجميلا سمي بحوش المرايات أين استقر به الشيخ رفقة عائلته وخدمه، وهناك أملى على مريديه سي الحاج علي الحرازيمي وسي محمد بن المشري السايحي تاريخ حياته ووصياه للإخوان وهوما سيصبح كتاب الطريقة التيجانية ومصدرها الأساسي ويسمى الكنّاش وهو اختصار لعنوان "**من كل ناش**" مؤرخ بذي القعدة 1214هـ الموافق لـ مارس – أفريل 1800م وجاء فيه : "**على إثر الرؤيا التي رأى من خلالها الرسول أعطاه مهمة تفسير بعضا من القرآن الكريم وشرح السنة والتعليق على الدروس التي تركها الفقهاء والعلماء والشيوخ**" (RINN, 1884, p. 442)، في نفس الفترة أقام سي أحمد زاوية في حارة "**حومة البليدة الراعروية**" وهناك كان يؤدي صلواته، يقرأ ويفسر القرآن لعدد كبير من الإخوان والمريدين، كان سي أحمد شيخا جميلا وبدينا وظهره منحني قليلا ذو لحية بيضاء ناصعة صوته جوهري ،فصيح اللسان من خلال دروسه ومواعظه، تبدو عليه ملامح الذكاء والفطنة .

2.5. مآل الزاوية التيجانية بعد وفاة مؤسسها

أواخر حياته كرس أحمد التيجاني وقته لتربية ولديه محمد الكبير المولود 1211هـ الموافق لـ (1796-1797 م) ومحمد الصغير المولود 1216هـ الموافق لـ (1801-1802)، وفي سنة 1228هـ الموافق لـ 1813 زار الشيخ عين ماضي لآخر مرة أين مكث بها عدة أيام، وبعد سنتين وبالضبط في 14 شوال 1230 هـ الموافق لـ19 سبتمبر 1815 توفي ودفن بزاويته "**حومة البليدة الرعروية**"، قبل وفاته عهد أحمد التيجاني ولديه لمحمد بن أحمد التونسي كما عهد الزعامة الروحية للطريقة لأحد أصدقائه ومريديه وهو الحاج علي بن الحاج عيسى وهومن الينبوع (العربية السعودية) وكان منذ مدة مقدما وشيخ الزاوية بتيماسي (RINN, 1884, p. 423.424).

لكن محمد بن أحمد التونسي توفي بزمن قليل بعد شيخه ،فعاد الحاج علي إلى مدينة فاس واصطحب معه ابني الشيخ التيجاني، خاصة وأنه في هذه الفترة كان الملك يزيد بن إبراهيم يقوم بتصرفات مشينة تجاه التيجانية وقد يكون ذلك بإيعاز من الطيبية، فقد جردهم من القصر الذي أهداه سلفه لهم "**مولاي سليمان**" وبعض من ممتلكاتهم وميراثهم، بقي الحاج علي مدة في عين ماضي أين وضع الأمور في مكانها وبعدما

حقق الرخاء المادي للزاوية عاد أدراجه إلى تيماسين دون أخذ الزعامة الروحية للطريقة، في حين أخذ الإخوان محمد الكبير ومحمد الصغير شرف إسميهما وقاما بجلب **العلماء** والفقهاء لإعادة مجد الزاوية، ولكن الاستقرار في عين ماضي لم يدم طويلا فهناك جماعة منشقة تدعى "**تيجاجنة**" –كان أحمد التيجاني قد أبعدهم عن عين ماضي، فتوجهوا إلى جبل عمور واستقروا هناك– شنوا هجوما على المدينة مرفوقين بعدد من العرب المستقرين بالغرب الجزائري، لكن هجومهم مني بالفشل فاستعانوا بباي وهران "**حسان**" الذي فرض حصارا على مدينة عين ماضي سنة 1820م، فعرض عليه التيجانيون المال مقابل تراجعه ورفع الحصار فقبل بذلك في الوقت الذي كان قد قام فيه بقصف المدينة مدة 36 ساعة لكن غاراته كانت فاشلة فاضطر للتقهقر بعدما مني بخسائر معتبرة (RINN, 1884, p. 424).

6. الطريقة التيجانية وباي التيطري مصطفى بومزراق

1.6. رد فعل التيجانين تجاه هجوم الباي مصطفى بومزراق

في سنة 1822م قام باي التيطري "**مصطفى بومزراق**" بهجوم آخر على عين ماضي، لكنه لم يحقق الغرض المطلوب ومنيت حملته بالهزيمة، هذان الهجومان ولدا لدى التيجانيين كرها للأتراك ورغبة جامحة في الانتقام فتوجها الأخوان التيجانيين تحت طلب "**بني هاشم**" على رأس عدد من الوحدات سنة 1826م إلى مدينة معسكر لكنهما وجدا مقاومة كبيرة من طرف "**المغاربة زقدو**" فتوقفا عند "**صوارا**" بالقرب من الشط وعلى إثرها أصيب محمد الكبير بجروح خطيرة فعاد إلى عين ماضي وبقي مدة شهرين وهوبين الحياة والموت إلّا أن استعاد عافيته تماما فعاود الكرة وصولا إلى أسوار مدينة معسكر وكاد يستولي عليها لولا خيانة بني هاشم وتخليهم عنه فقتل رفقة 40 شخصا من خاصته (RINN, 1884, p. 423.424).

2.6. مهادنة محمد الصغير واعادة بعث الطريقة

بقي محمد الصغير في بوسمغون ولم يشارك مع أخيه في حملته العسكرية، فعاد مسرعا إلى عين ماضي وأخذ بزمام قيادة شؤون الزاوية فعقد تحالفا مع أحمد بن سالم قائد الصف الشرقي للأغواط، كم قام بتوسيع رقعة انتشار الطريقة التي أسسها والده، ويعود الفضل للسياسة الحكيمة لمحمد الصغير إلى سي الحاج علي التيماسيني الذي يعد القائد الفعلي للطريقة التيجانية، فقد مهد لمحمد الصغير نشر الطريقة في الجهة الغربية بينما عمل هو على نشر الطريقة وإرساء دعائمها في الصحراء الشرقية وتونس وصولا إلى أقصى الجنوب، فقد ربط علاقات متينة بإفريقيا الوسطى، التوارق والسودان.

لتحقيق هذا الهدف كرست التيجانية للتجارة الواسعة وذلك عن طريق القوافل التي يقودها ويحميها الإخوان من زاوية عين ماضي، بوسمغون، فاس وتلمسان، هذه القوافل نمت وازدهرت عبر الطرق بزيادة الأتباع من خلال القبائل المنتشرة هنا وهناك وصولا إلى شنقيطي (أدرار الغربي) وتمبكتو، سيقو، وفوتا بالسنغال فكان طريق التيجانية مزدوج بين نشر الطريقة والتجارة، فحكام السنغال أحصوا في تقاريرهم مدى انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى في الفترة ما بين 1245–1259 هـ الموافق لـ1830–1843م (RINN,

1884, p. 425)، فالرخاء والازدهار المتنامي إضافة إلى الانتشار الواسع والتأثير الفعلي سواء على المستوى الديني أو السياسي جعل الكل يريد التحالف مع التيجانية لكن لا الشيخ الطريقة ولا المرابط بعين ماضي كانا مستعدان للمخاطرة بالطريقة مع أي كان وتحت أي ظرف.

خاتمة

تعد الكتابات الغربية وبالخصوص الفرنسية مصدرا مهما لا يمكن الاستغناء عنها في الدراسات والأبحاث التاريخية، إذ هذا لا يجعلنا نحكم على مصداقيتها ونزاعتها لاعتبارات منها أنها وُجهت من طرف السلطات الاستعمارية وتجلى هذا من خلال الدعم التام والمطلق الذي كانت توليه وزارة الحرب وما وراء البحار، ما نجده في كتابات الضباط العسكريين الذين تولوا الأشراف على المكاتب العربية التي تظهر للرأي العام أنها وساطة بين الأهالي الجزائريين والسلطات الفرنسية فحقيقة الأمر خلاف لذاك فمن خلال البحث والدراسة نجد أن الهدف الأساسي هو التقرب من المجتمع الجزائري لمعرفة ذهنية وعقلية هذا الجنس المخالف للفكر الغربي الأوروبي، فيذكر احد الكتاب الفرنسيين بقوله أن معرفة عادات وتقاليد مجتمع ما يسهل احتلاله، فبالفعل اهتمت السلطات الحربية الفرنسية بمسالة الطرق الصوفية والزوايا الدينية وظاهرة المرابطين لحتمية واقعية متمثلة في المقاومات الشعبية التي أطرتها وسيرتها المطلقة على مختلف شرائح المجتمع، ما جعلها تنافس القوة الفرنسية في كسب نفوس المجتمع وعملت على التقرب منهم لاستمالتهم، إلا أنه في الأخير خاب ظنها ولم تفلح في مسعاها.

تبقى دراسة الضابط لوي رين عن الطريقة التيجانية ذات اتجاه واحد في الجانب المتعلق بالعلاقة مع فرنسا، لكن نجد العكس اذ حاول اعطاء صورة واضحة حول العلاقة المتوترة بين النظام العثماني والطريقة التيجانية وهي إشارة للسلطات الفرنسية على وجوب مهادنة الطرق المحلية والا سيكون مصيرها مثل مصير النظام العثماني وهو قيام ثورات دينية بقيادة الجانب الصوفي والروحي وبالخصوص التيجانية ذات الانتشار الواسع في الجنوب والغرب الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

1) لوكا (ف)، كود فانتان، ج، (د.س). **جزائر الأنتروبولوجين نقد السيسيولوجيا الكولونياليه**، تر: محمد يحياتن وآخرون، منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال الجزائر.

2) بن يوسف التلمساني (1998)، **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الاميرعبد القادر، الادارة الاستعمارية) 1782-1990**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.

3) سعد الله، ابوالقاسم، (2009)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، (ج4). دار البصائر، الجزائر.

4) شلالي، عبد الوهاب، (2006)، "**دور الطرق الصوفية في جهاد أهل تبسة خلال القرن 19م – دراسة تاريخية من خلال المؤلفات العسكرية الفرنسية**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد تجريبي. جامعة تبسة، أفريل.

5) Ageron , (C.R).(1978) **France colonial ? presse universitaire de France**. Boulevard saint.Paris.

6) Ageron ,(C.R). (1978) **Histoire de l'Algérie contemporaine** .La conquête et les délits de la colonisation (1827-1871). **press universitaire de France** .Ed 2.Paris.
7) Arnaud,.(A). (1861) **Histoire de l'ouali Sidi Ahmed Et-Tidjani.** Revue.Africaine, N 05.
8) Claude ,(M). (1938). **Le long de ouedes de l'aures**. Alger : Ed, Baconnier.Alger.
9) Depont, (O)., **& Coppolani (X). (1897)Les confréries religieuse musulmanes**. Ed, Adolphe Jourdan. Alger.
10) Faucon , (N). (1889) **livre d'or de L'Algérie Histoire Politique, Militaire, Administrative Événements Et Faits Principaux Biographie Des Hommes Ayant Marqué Dans L'armée Les Sciences, Les Lettres, etc. de 1830 A 1889**. T1. Paris.
11) Lacroix, (N). (1905) **Le lieutenant – colonel (L)Rinn**. Revue.Africaine ,N 49.
12) Peyronnet, (R). (1930) **Livre d'or des officiers indigènes 1830-1930**.T01. Imp, Algérienne. Alger;
13) Rinn, (L) (1882)**Essai d'étude linguistique et Ethnologique sur les origines berbère**. Revue.Africaine, N 26.
14) RINN, (L). (1884)**Marabout et Khouane, etudes sur l'islam en Algéri**.;Ed Jordan. Alger.
15) Rinn,(L). (1897)**Le royaume d'Alger sous le dernier Bey**. Revue.Africaine, N 41.